

المؤسسات الدينية ورعايتها من قبل الحاكم بالمغرب الإسلامي (٦٣٤-٩٨١هـ/١٢٣٧-١٥٧٣م)

م.م. ساره خالد هاشم كاظم الربيعي

أ.د. نعمة شهاب جمعة يوسف اللامي

جامعة بغداد-كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية قسم التاريخ

Sara.Khaled2305p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

٢٠٢٦ / ٠١/٢٩	: التعديل (Revision)	٢٠٢٦ / ٠١/ ١١	: الاستلام (Received)
٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠	: النشر (Published)	٢٠٢٦ / ٠٢/ ٠١	: القبول (Accepted)



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

[4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

في دول المغرب الإسلامي كانت رعاية المؤسسات الدينية جزءاً من سياسة الحكم وليست مجرد عمل تعبدية إذ أدرك السلاطين أن المسجد والزوايا والعالم يشكلون أساس التأثير في المجتمع ومنح الشرعية للسلطة، في الدولة الحفصية احتل جامع الزيتونة والزوايا مكانة مركزية فمؤل السلاطين بناء المساجد والمدارس ووسعوا الأوقاف على العلماء وشيوخ التصوف فصارت هذه المؤسسات مراكز علم وقضاء وتوجيه اجتماعي تدعم هيبة الحكم، وفي الدولة الزيانية اهتم سلاطين تلمسان بالمساجد والزوايا الصوفية لأنها كانت تربط الدولة بالناس والقبائل فاستعملوها لنشر الاستقرار والولاء إلى جانب دورها الديني، أما الدولة المرينية فقد أنشأت شبكة واسعة من المساجد والمدارس والزوايا ووقفت عليها أموالاً كبيرة فجعلت منها أدوات لتخريج العلماء وترسيخ صورة السلطان بوصفه حامي الشريعة، وهكذا كانت رعاية المؤسسات الدينية وسيلة لترسيخ الشرعية السياسية وضبط المجتمع إلى جانب دورها الديني والتعليمي.

كلمات مفتاحية، الحاكم، الحفصية، الزيانية، المرينية

Abstract

In the Islamic Maghreb countries, the patronage of religious institutions was part of the policy of governance and not merely an act of worship, as the sultans realized that the mosque, the zawiya, and the scholar formed the basis of influence in society and granted legitimacy to the authority. In the Hafsid state, the Zaytuna Mosque and the zawiya occupied a central position, so the sultans financed the construction of mosques and schools and expanded endowments for scholars and Sufi sheikhs, so these institutions became centers of knowledge, judiciary, and social guidance that supported the prestige of the

rule. In the Zayyanid state, the sultans of Tlemcen paid attention to mosques and Sufi zawiyas because they connected the state with the people and tribes, so they used them to spread stability and loyalty in addition to their religious role. As for the Marinid state, it established a wide network of mosques, schools, and zawiyas and endowed them with large sums of money, so it made them tools for producing scholars and consolidating the image of the sultan as the protector of Sharia. Thus, the patronage of religious institutions was a means of consolidating political legitimacy and controlling society in addition to their religious and educational role.

أولاً: المؤسسات الدينية ورعايتها من قبل الحاكم

حظيت المؤسسات الدينية في المغرب بمكانة رفيعة لدى الحكام، إذ كانت المساجد والزوايا بمثابة مراكز للعبادة والعلم والتوجيه الروحي، فارتبط عمرانها ورعايتها بسياسة الدولة ومظاهر سلطتها، وسعى الحكام عبر العصور إلى بناء هذه المؤسسات وتعميرها بما يليق بمقامها الديني والاجتماعي، فشيدوا الزوايا التي احتضنت حلقات الذكر والتدريس وأنشأوا المساجد الكبرى وزينوا محرابها ومنابرها، وجعلوا لها موارد ثابتة عن طريق نظام الأحباس فكان هناك تساند متبادل بين الحاكم والرعية، الحاكم يرفع الدين ويوفر المؤسسات، والرعية تلتزم بالطاعة والتمسك بالقيم الدينية، مما يحقق الاستقرار العام .

١- الاهتمام بالزوايا وأصحابها

تعدّ الزوايا من أبرز المؤسسات الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي، نشأت لتلبية حاجة المجتمع إلى أماكن للعبادة والتعليم والخدمة العامة وتُعرف بالزوايا في المغرب، بينما يُسمّى مثلها في المشرق بـ الخوانق^(١) أو **الرباط**^(٢). أسست الزوايا لتكون فضاءات يجتمع فيها المريدون لأداء الصلاة وذكر الله وتلاوة القرآن وتلقي الدروس الدينية، أدّت أيضاً وظائف اجتماعية مهمة، مثل إيواء المسافرين، وإطعام المحتاجين، وسكن للصوفية^(٣).

ولأهمية هذه المؤسسات حرص الحكّام على الاهتمام ببنائها وتجهيزها بالأوقاف لضمان استمرارها، والتقرب من أصحابها ورعايتهم^(٤).

أ- الزوايا وأصحابها في العصر الحفصي

في العهد الحفصي برزت الزوايا كمؤسسات دينية وتعليمية ذات تأثير واسع، أولى الحكام الحفصيين عناية خاصة بها إدراكاً منهم لدورها في ترسيخ الدين الرعية، ونشر العلوم، وتعزيز الاستقرار الاجتماعي والسياسي، لم تعد الزاوية مجرد مكان للعبادة والذكر^(٥)، بل أصبحت ذات هيكلية خاصة محورها الشيخ الصوفي، وأضحت مقراً للتربية الروحية، ومأوى للفقراء والمسافرين، ومركزاً للعلم والتعليم القرآن^(٦)، والحاكم الحفصي كان يدعم هذه المؤسسات بالأوقاف والإعانات^(٧)، ليضمن عن طريقها رعاية شيوخ التصوف وكسب ولائهم، إذ كان المتصوفة يتمتعون بمكانة عالية بين العامة والحكام، وكانت كلمتهم

مسموعة في مختلف أنحاء البلاد، ومنهم اهم تلك الزاوية مبارك العجمي الذي رحل إلى المشرق ثم استقر بربض السعود قبله الباب المنصور حتى وفاته سنة (٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)، وكانت زاويته ملجأ للجند الفارين من الخدمة العسكرية والجائعين^(٨)، وزاوية الشيخ أبي عبد الله محمد المغربي المتوفى سنة (٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) والتي ذُكرت في القرن التاسع الهجري حين نزل بها أبو عثمان سعيد السفريولي^(٩)، وكذلك الزاوية البغدادية التي ذكرت في القرن السابع الهجري بمدينة تونس، وزاوية محمد بن سليمان أبو الحديد القادم من مدينة الجرار قرب المحمدية الذي تحول منزله بعد وفاته سنة (٧٥١هـ / ١٣٥٠م) إلى زاوية^(١٠).

أحدى اهم علامة حسن العلاقة بين الحاكم وأصحاب الزوايا انتشارها في الدولة الحفصية، و من النصوص التي تؤكد ذلك " ... وكان عهد لولده عبد الله فتحدث الموحدون في صغر منه وأنه لم يبلغ الحلم فبعث الحاكم للشيخ الفقيه الصالح ابي محمد المرجاني^(١١) وتحدث معه في ذلك، وكان الوثائق بن المستنصر لما قتل هو وبنوه بحبسهم فرت إحدى جوارية حاملا منه إلى زاوية الشيخ الولي أبي محمد المرجاني فوضعت الولد في بيته سماه الشيخ محمد وعق عليه واطعم الفقراء يوم اذ عصيدة الحنطة فلقب بابي عصيدة ثم صار بعد اختفاء إلى قصورهم ونشأ في ظل الخلفاء قومه حتى شب وبقيت له مع الشيخ المرجاني ذمة فلما فاوضه السلطان في شأن العهد وقص عليه نكير {الموحدين} لولده اشار عليه الشيخ بصرف العهد الى محمد بن الوثائق فقبل اشارته ووقع"^(١٢).

يكشف هذا النص عن عمق العلاقة بين الحاكم وأصحاب الزوايا، فكان الحاكم يلجأ إلى الشيخ أبي محمد المرجاني في القضايا الكبرى التي تهدد استقرار الحكم، مما يدل على مكانة شيوخ الزوايا وثقة الحكام بهم، ولم يكن موقف المرجاني إلا مثالا على حسن العلاقة بين الطرفين، إذ قدم النصح المخلص وقبل الحاكم مشورته، فبرزت بذلك علاقة تكامل بين السلطة السياسية والسلطة الروحية، فالحاكم وجد في الزوايا سندًا معنويًا وشرعيًا، وأصحاب الزوايا وجدوا في الحاكم دعمًا وتقديرًا، فأسهم هذا التكامل في تثبيت الحكم وتعزيز الاستقرار، وكمظهر للتقدير حضر الحاكم ابو عصيدة (٦٩٤-٧٠٩هـ / ١٢٩٥-١٣٠٩م) بنفسه جنازته وصلى عليه سنة ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م^(١٣).

وشاهد آخر على ذلك زاوية باب البحر التي كانت في الوقت نفسه مدرسة وحلّت محل فندق الخمر في عهد أبي فارس عبد العزيز (٧٩٦-٨٣٧هـ / ١٣٩٤-١٤٣٤م) وكذلك فعل بفندق مدينة القسنطينة^(١٤)، فضلاً عن ذلك تم بناء زاوية سيجوم بأمر من الحاكم وهي على درجة عالية من الحسن والإتقان، وجعل فيها جامعًا للخطبة، ودرسًا لتعليم العلوم، ورباطًا لسكنى طلبة العلم وحفظ القرآن، وأوقف عليها أوقافًا قوية تكفي حاجاتها، وأعد فيها سماءًا دائمًا للمقيمين والزائرين، فعم نفعها وانتفع بها القاصي والداني، و عمّرت هذه الزاوية عمارة متينة استمرت آثارها إلى يومنا ذلك، فكانت شاهدًا على عناية الحاكم

بالمؤسسات الدينية والعلمية^(١٥)، والزوايا القريبة من سوق الفلقة التي ظهرت داخل الأسوار الأولى في عهد الحاكم محمد المنتصر (٨٣٧-٨٣٩هـ/١٤٣٤-١٤٣٦م) ونزل بها أندلسيون من أهل بسطة^(١٦)، وهي زاوية أحمد بن عروس^(١٧)، التي بنيت داخل المدينة النواة في موضع فندق للسكن وكانت تستقبل المهاجرين الأندلسيين في القرن التاسع الهجري^(١٨)، التي اتمها اخو أبي عمرو من بعده^(١٩)، وزاوية أحمد القلاعي المقابلة لها وترجع إلى الفترة نفسها^(٢٠)،

اما الحاكم ابو عمرو عثمان الحفصي (٨٣٩-٨٩٤هـ/١٤٣٦-١٤٨٨م) كان من أكثر حكام الدولة الحفصية اهتماماً ببناء الزوايا ودعمها، الذ أدرك أهميتها في توفير الخدمات الدينية والتعليمية، وترسيخ نفوذ الدولة في الحواضر والبادي على حد سواء، ومن أبرز ما أنجزه في هذا المجال بناؤه زاوية الفندق التي أقيمت فوق غابة شريك قبلي جبل زغوان، وجُعِلت ملجأ لمبيت الواردين من جهة تونس أو القيروان، مما وفر للمسافرين الأمن والمأوى، فضلاً عن ذلك شيد الزاوية المعروفة بعين الزميت، وأوقف عليها ما يكفي لتغطية حاجاتها من طعام وإقامة وتعليم^(٢١)، وزاوية المنهلة، وزاوية قرناطة الواقعة بين قفصة وتوزر، وزاوية بسكرة، وزاوية التومي، وغيرها من الزوايا التي انتشرت في أنحاء السلطنة^(٢٢).

من واجب الحاكم مراقبة المتصوفة وتقوية علاقته بهم لضمان التزامهم بالشرعية وحماية الدين من الانحراف، خاصة مع ظهور بعض الأشخاص الذين ينتحلون طرقاً باطلة تحلل المحرمات وتخالف العقيدة للحفاظ على الدين من الانحرافات^(٢٣).

بعد ضعف الدولة الحفصية وتوقف الحكام عن إنشاء الزوايا ورعايتها، لم يختفِ الاهتمام بالعلم والدين في المغرب، بل استمر أثره واضحاً عن طريق مبادرات العلماء والشيخوخ، ففي هذا السياق قام الشيخ أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري بتأسيس الزاوية الناصرية في بلدة تامكروت سنة (٩٣٨هـ/١٥٧٦م) ويظهر هذا الحدث أن الدور الذي كان يؤديه الحكام في دعم المؤسسات الدينية والعلمية لم ينقطع تماماً، بل انتقل إلى الأعيان والصلحاء الذين واصلوا مسيرة البناء والتعمير، وهكذا غدت الزاوية الناصرية شاهداً على استمرار الاهتمام بالعلم والتصوف والخدمة الدينية، حتى بعد أقول نفوذ الدولة الحفصية^(٢٤).

يتبين إن هذه الزوايا بمختلف أسمائها ومواقعها، لم تكن مجرد أبنية، بل كانت فضاءات حية يتفاعل فيها الدين بالعلم، وتلتقي فيها رعاية الدولة بمبادرات شيخوخ التصوف، مما جعلها ركيزة من ركائز الحياة الدينية والعلمية في العهد الحفصي، وأداة فاعلة في يد الحاكم لتعزيز سلطته وكسب ولاء المتصوفة، لان هذه الزوايا كانت تؤوي الفقراء والجند الفارين وتوفر لهم المأوى والطعام والتعليم، فبدعمها وكسب ولاء شيخوخها ضمن الحاكم ولاء هذه الفئات وكسب اتباعهم من الرعية، لأن تركهم دون احتواء قد يشكل خطراً على حكمه ويهدد استقرار الدولة.

ب- الزوايا وأصحابها في العصر الزياني

لم تشهد الدولة الزيانية حركة بناء زوايا على يد الحكام كما هو الحال في الدولة الحفصية، التي تميز كل حاكم فيها بإنشاء عدة زوايا، غير أن الحكام الزيانيين أولوا الزوايا اهتمامًا من نوع آخر، تمثل في رعايتها ودعم نشاطها عن طريق الأوقاف^(٢٥)، وتقدير شيوخها والمتصوفة الذين كانوا يؤدون دورًا مهمًا في المجتمع كانت الزوايا في تلمسان وغيرها من مدن الدولة بمثابة مأوى للفقراء والمحتاجين، ومراكز للضيافة وإطعام الغرباء، إضافة إلى دورها في نشر التعليم الديني والتهديب الأخلاقي^(٢٦).

انتشرت الزوايا في العهد الزياني انتشارًا واسعًا، فغدت حاضرة في مختلف الأحياء والقرى، يقصدها الناس لطلب العلم أو للذكر أو لقضاء الحاجات و حافظت هذه المؤسسات على مكانتها بفضل ارتباطها الوثيق بالناس، ودعم الحكام لها ماديًا ومعنويًا، مما جعلها حلقة وصل بين السلطة والرعية، وركيزة أساسية في استقرار المجتمع الزوايا في تلمسان في العصر الزياني، حين دخلت تلمسان عصر الدولة الزيانية، كانت المدينة ورثت إرثًا صوفيًا عريقًا منذ أن احتضنت ضريح القطب أبي مدين الغوث في منطقة العباد^(٢٧)، لم يكن ضريحه مجرد مكان للزيارة، بل صار نقطة انطلاق لحركة روحية امتدت في أحياء المدينة وضواحيها، حول الضريح، نشأت زاوية العباد، التي أصبحت القلب النابض للتصوف في المغرب الأوسط، ومقصداً لطلاب العلم والمريدين^(٢٨).

انتشرت الزوايا الأخرى في مثل زاوية أبي محمد المجاصي^(٢٩)، التي امتلأت مجالسها بالذكر والدعاء، وزاوية أبي إسحاق الطيار^(٣٠)، التي عملت على نشر التصوف، وزاوية العالم الصوفي أبي عبد الله بن مرزوق التي جمعت بين العلم الشرعي والسلوك الروحي^(٣١).

لم تكن الزوايا في العهد الزياني معزولة عن الحكم، بل كانت جزءًا أساسيًا من نسيج العلاقة بين الحاكم والرعية، أدرك الحكام الزيانيين ما تمثله هذه المؤسسات من قوة روحية مؤثرة في الناس، فحرصوا على رعايتها ودعم شيوخها بالأوقاف والهبات^(٣٢)، وزيارتها في المناسبات الدينية طلبًا للبركة وتقوية الروابط مع العامة، وكان شيوخ الزوايا يحظون بتقدير كبير من الحكام، ومن أبرز الأمثلة على ذلك الخطيب أبو عبد الله بن أحمد بن مرزوق، الذي ورث خدمة ضريح أبي مدين، حتى أن الحاكم يغمراسن (٦٣٣-٦٨١هـ / ١٢٣٥-١٢٨٣م) دفن جدّه في تربة قصره تكريمًا له، في دلالة واضحة على مكانة الزوايا وأهلها في الدولة^(٣٣).

في المقابل كان الشيوخ يضيفون على الحاكم هالة من الشرعية الروحية، ويسهمون في تهدئة النفوس وإصلاح الخلافات، وهو ما ساعد على حفظ الاستقرار الداخلي في الدولة الزيانية، أهمية هذه الزوايا لم تقتصر على الجانب الديني فحسب، بل امتدت إلى المجال الاجتماعي، إذ كانت مأوى للفقراء

والمسافرين، ومراكز لتعليم القرآن والعلوم الشرعية، ومنابر لحل النزاعات، وكان لها دور ثقافي مهم في نشر الفكر السني المعتدل، وتحصين المجتمع من التيارات الفلسفية أو الفكرية الغربية عنه^(٣٤). ومن هذا يتضح ان الزوايا في العصر الزياني كانت مؤسسات شاملة، تمزج بين العبادة والتعليم والخدمة الاجتماعية، وتشكل جسراً ثابتاً يربط بين الحاكم والرعية، وبين الماضي الروحي والمستقبل الاجتماعي لتلمسان.

ج- الزوايا وأصحابها في العصر المريني

في العهد المريني لم يكن بناء الزوايا أمراً عابراً، بل كان مشروعاً متواصلاً ارتبط بسياسة الدولة الدينية والثقافية، اذ أدرك حكام بني مرين أن الزوايا ليست مجرد أماكن للعبادة، بل هي مراكز علمية وروحية يمكن أن تجمع بين العبادة والتعليم، وتسد حاجة المسافرين والفقراء، وتكون أيضاً أداة سياسية في يد الدولة^(٣٥).

بدأ هذا الاهتمام يتجسد في مشاريع معمارية مبهرة، ففي عهد الحاكم أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩هـ / ١٣٣١-١٣٤٨م)، قام ببناء الزوايا كجزء من تطوير المرافق الدينية والتعليمية^(٣٦)، فأسس زاوية القورجة وزاوية باب المشاورين كانت هذه الزوايا مراكز للعبادة والتعليم وخدمة المجتمع، وتجسد اهتمام الحاكم بدعم التيار الصوفي وتنظيم حياة المدينة الدينية^(٣٧)، من أبرزها الزاوية المتوكلية التي أمر الحاكم أبو عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ / ١٣٤٨-١٣٥٨م) خارج مدينة فاس، فجاءت تحفة معمارية قائمة على قواعد متينة^(٣٨)، جدرانها ناصعة البياض، تحيط بها ساحة واسعة، ويقابلها مسجد مزخرف بالزجاج، إلى جانب قبة عالية وأربعة أروقة، ومرافق كاملة من مساكن للإمام والمؤذن والناظر، ودار للضيوف وأخرى للطبخ، وباب شرقي يطل على قصر الخليفة، وخارج فاس، أقيمت الزاوية العظمى التي عدّها المؤرخون من مفاخر المغرب والمشرق، لما امتازت به من روعة الموقع وقوة البناء، لتكون ملتقى للوافدين وموئلاً للذكر والعلم^(٣٩).

أنشأ الحاكم أبو عنان فارس (٧٤٩-٧٥٩هـ / ١٣٤٨-١٣٥٨م) أيضاً زاوية النساك خارج مدينة سلا للفقراء والمساكين^(٤٠)، وهي من الزوايا الكبيرة، التي كانت بمثابة دور ضيافة فاخرة ينزل فيها الرحالة والمسافرون من مختلف الطبقات، في مشهد يجمع بين الكرم المريني والعناية بالطرق^(٤١)، اما ابن الحاج النميري^(٤٢) فوصفها بقوله: " فجاءت من أبدع الزوايا وأنفس الخبايا . وخصها الحسن بأرفع المزاي ، وحبها بالجمال بالمرباع والصفايا : فما شئت من ترتيب فائق ، ومنظر رائع رائق ، ووثاقة مبان ، وأوضاع حسان ، وإتقان اختطاط ، وبراعة استنباط ، ومحاسن كأنها درر في أسماط . كاملة المرافق . منفسحة الطرق للطارق . لا تزال آخذة زخرفها متزينة . مطلعة نجوم صنائعها واضحة بينة ، فائقة أزهار الروض الأنيق... " .

ثم جاء الحاكم أبو سالم إبراهيم (٧٦٠-٧٦٢هـ / ١٣٥٩-١٣٦١م) ليشيد زاوية القراء في سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦٠م)، ويذكر الجزنائي^(٤٣) في وصف بنائها إذ يقول: "...وجعل بقبليها وبجوفها من صناعة الخرط والتقاشير والتزيين بالأصبغة ما يبتهج به المار والساك، ورتب فيها قراء يقرءون القرآن، ويختمونه في كل سبعة أيام بطول الأزمان، وأجرى لهم جارية في كل شهر ينتفعون بها، ويرتبون لذلك بسببها، وتم عملها في أواخر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمئة . والله يجعل أجر ذلك في ميزانه، ويضاعف به الحسنات في ديوانه". ومن هذا النص يتضح ان الحاكم الحفصي عن طريق بناء الزوايا رتب عدة أمور منها:

- قام بوضع نظام ثابت لقراءة القرآن وختمه كل سبعة أيام، ما يدل على أن الزاوية كانت مؤسسة منظمة للذكر والتعليم، وليست مجرد مكان عابر للعبادة.

- تخصيص جارية شهرية للقراء يوضح أن الدولة أو الواقف كان يؤمن لهم دخلاً ثابتاً، مما يضمن استمرارية النشاط الديني والعلمي.

- الزاوية لم تكن فقط للعبادة، بل كانت وسيلة لربط الحاكم بالرعية عبر الرعاية الروحية، وإبراز صورة الدولة كحامية للدين وأهله.

لم تقتصر علاقة الشيوخ والزوايا بالحكام على جانب التعليم والإرشاد الروحي، بل برزت لهم مكانة خاصة تجلّت في قدرتهم على ردع الظلم وحماية الناس، وهو ما يؤكد عظم تأثيرهم في المجتمع والدولة معاً^(٤٤)، ويظهر ذلك جلياً في حادثة الشيخ سعيد بن أبي بكر المشترائي^(٤٥)، حين لجأ إليه أحد المشاورين بعدما ظلمه الوزير أبو عبد الله بن الحاكم أبي العباس أحمد الميرني (٧٧٦-٧٨٦هـ / ١٣٧٤-١٣٨٥م)، إذ أمنه الشيخ في زاويته، وعندما ألح الوزير في طلبه قال الشيخ كلمته المشهورة: إن قتلك قتله الله، وبالفعل، قُتل المشاوري، وبعدها أصيب الوزير بمرض غريب تقطّع فيه لحمه حتى هلك، فكانت الحادثة عبرة للسلطان وللناس جميعاً، إذ رأوا كيف تحققت كلمة الشيخ وظهرت كرامته^(٤٦).

هذه الحادثة أبرزت الدور الكبير الذي كانت تؤديه الزوايا فلم تعد مجرد مراكز للعلم والعبادة، بل أصبحت ملاذاً آمناً ومكاناً مقدساً يلجأ إليه حتى من ارتكب أعظم الجرائم، فلا يجروا أحد على ملاحقته داخلها ومن ثمّ، ارتفعت مكانة الشيوخ والزوايا في أعين الحكام والرعية معاً، حتى صارت تتمتع بحرمة واحترام خاصين، وأصبح نفوذها الروحي والاجتماعي عاملاً مهماً في توازن السلطة داخل الدولة.

٢- بناء المساجد وتعميرها

عُدَّ بناء المساجد في المغرب الإسلامي من أهم الأعمال للتقرب إلى الله، إذ كان ينظر إلى عملية التشييد نفسها على أنها وقف دائم من قبل الحاكم، وهو المؤسسة الأولى التي أسسها الرسول (صل الله عليه واله وسلم)^(٤٧)، وأول موطن التعليم لدى المسلمين^(٤٨)، فأصبح لها أهمية بالغة في حياة

المسلمين^(٤٩) ومن هذا المنطلق حرص الحُكَّام بوجه خاص على تشييد المساجد ورعايتها، إدراكًا منهم لأهميتها الدينية والاجتماعية فهي من جهة رمز لإظهار التزام الحاكم بخدمة الدين ورعاية شؤون المسلمين، ومن جهة أخرى وسيلة لترسيخ شرعيته الدينية بين الرعية عن طريق الغطاء الديني^(٥٠)، لكن هذا الغطاء لم يكن دائمًا نابغًا من إيمان صادق أو إصلاح ديني، بل في أحيان كثيرة كان وسيلة سياسية لتثبيت الحكم وكسب ولاء العلماء والعامة، فكثير من الدول الإسلامية، سواء في المشرق أو في المغرب، كانت تستند في شرعيتها إلى الغطاء الديني، لأنه كان أساس القبول الشعبي فقد كانت الدولة العباسية^(٥١) في المشرق من أوائل من رفع هذا الشعار حين نادى بـ«الرضا من آل محمد»، مستندة إلى نسبها الهاشمي لتأكيد أحقيتها بالخلافة^(٥٢)، وعلى النهج نفسه، سارت الدول في المغرب كالدولة الحفصية والزيرية والمرينية، إذ سعت جميعها إلى إضفاء الصبغة الدينية على سلطتها، فربطت نسبها بالأصل القرشي لتستمد منه الشرعية وتكسب القبول في نفوس الناس، ففي المجتمعات الإسلامية، لم يكن الحاكم يُعترف به حاكمًا شرعيًا ما لم يظهر التزامه بالدين أو يستمد سلطته من البيعة والرضا الديني^(٥٣)، فسعى أغلب الحكام للبناء وتعمير المساجد لكسب تأييد وعطف الرعية^(٥٤).

أ-المساجد الحفصية

بعد قيام الدولة الحفصية أراد الحاكم أبو زكريا الأول (٦٢٥-٦٤٧هـ/١٢٢٧-١٢٤٩م) أن يرسخ وجوده عبر الدين والعلم والعمران، فاختار أن تكون مدينة تونس عاصمةً لدولته الوليدة، وجعل من بنائها الديني بوابة لترسيخ الشرعية وبث الطمأنينة في قلوب الناس، **وسار على نهج خليفته عبد المؤمن^(٥٥)** إذ لم تمر سنواته الأولى في الحكم دون أثر واضح بهذا الجانب بل كانت شاهدة على ميلاد أبرز معالم الدولة الحفصية وأولها جامع القصبة^(٥٦)، أمر ببنائه في أعلى نقطة من الحي في مدينة تونس، وبني إلى جنبه صومعة على الطراز الأندلسي^(٥٧)، ونقشه اسمه عليه وجعل من بنائه تحفة فنية تمزج بين الطراز الموحد القديم وبين روح الهوية الحفصية الناشئة^(٥٨)، لم يكتفِ بتكليف المعمارين والعمال، بل شارك بنفسه في تنويع هذا الإنجاز، إذ صعد في إحدى ليالي شهر رمضان وأذن بنفسه فيها سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م^(٥٩).

لم يكن جامع القصبة المشروع الوحيد في هذا التوجّه حرص الحاكم أبو زكريا (٦٢٥-٦٤٧هـ/١٢٢٧-١٢٤٩م) على تأسيس مصلى للعيدين خارج سور المدينة، قرب باب المنارة، وبناءه بشكل حصين مزوّد بالأبراج والشرفات ليكون هذا المصلى فضاءً عامًا فسيحًا يُجمّع الناس في المناسبات الدينية الكبرى، ويُشعّروهم بوحدة الجماعة تحت ظل الإمام الحاكم^(٦٠).

بالتوازي مع ذلك كان الحفصيين يواصلون ترميم جامع الزيتونة^(٦١)، وتجديد معالمه، فأضافوا إليه مضية للوضوء وصومعة جديدة، وأدخلوا إصلاحات معمارية تُظهر العناية بمكانة المسجد الأعظم، الذي كان منذ قرون قلب الحياة العلمية والدينية في تونس فكانت الخطبة الأولى لهم في جامع الزيتونة^(٦٢). انعكس هذا كله على المجتمع التونسي، الذي وجد في الحاكم الحفصي مرجعاً دينياً وأصبحت المساجد مراكز إشعاع روحي وفكري، وتحولت الصوامع إلى علامات حضارية تُميّز المدن الحفصية، لم يُبنى العمران الحفصي من الحجارة فقط، بل من المعنى الروح التي أرادها الحاكم أن تسري في الناس وتمنح حكمه عمقاً لا تهزّه العواصف.

وثاني جامع بني سنة ٦٥٠هـ/١٣٥٣م^(٦٣) أنشأت الأميرة عطف في حكم ابنها محمد المستنصر (٦٤٧-٦٧٥هـ / ١٢٤٩-١٢٧٧م)^(٦٤)، جامع التوفيق في تونس^(٦٥)، ويعرف بجامع الهواء لارتفاع موقعه ومناخه المعتدل^(٦٦)، خصصت لها أوقافاً واسعة لضمان استمرارية التعليم فيها^(٦٧)، التي تلاشت في مع نهاية الدولة الحفصية^(٦٨).

يُعد جامع التوفيق ثالث جامع تُلقى فيه الخطبة بعد الجامع الكبير في العهد الحفصي، مما يُبرز أهميته الدينية والسياسية في ذلك الوقت، استقدم المستنصر علماء بارزين لتدريس الحديث والفقه، مثل ابن سيد الناس أبو عبد الله محمد الشريف^(٦٩)، وتولى إمامة الجامع ابن عبد الرقيق^(٧٠) و الفقيه ابن عرفة^(٧١).

أما في عهد الواثق (٦٧٥-٦٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٩م) فقام بترميم الجامع الزيتونه وتحسينه سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م^(٧٢)، وسار على نهج أسلافه الحاكم أبو يحيى زكريا (٧١١-٧١٧هـ/٧٠١٢-٧٠١٨م) إذ واصل أعمال التجديد فأنشأ العوارض والأبواب الخشبية وجُدِّدت بعض سقوف بيت الصلاة ومنها رواق المحراب وكان ذلك في سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م^(٧٣).

امتداداً لهذا المشروع الديني الذي تبنته السلطة الحفصية في تونس^(٧٤)، نُسب تأسيس الجامع التبانين إلى الحاكم أبي عمرو عثمان الحفصي (٨٣٩-٨٩٤هـ/١٤٣٥-١٤٨٨م) في أواسط فترة حكمه^(٧٥)، وهي مرحلة اتسمت بانتشار الأوبئة وتصاعد الأزمات الاقتصادية ورغم هذه التحديات، سعى الحاكم إلى إعادة الدولة إلى سابق عهدها من القوة والاستقرار، فكان تشييد الجوامع أحد أدواته في استعادة الهيبة السياسية والدينية، وتحقيق نوع من الانسجام بين السلطة والمجتمع^(٧٦)، فضلاً عن ذلك قام الحاكم في سنه (٨٦٨هـ/١٤٦٤م) بنصب القلاع فوق الجامع الأعظم لوقاية الناس من حر الشمس^(٧٧). وجاء جامع التبانين الذي عُدَّ الثامن في ترتيب جوامع الخطبة بتونس، ليكون أحد الرموز الدالة على هذا التوجه، وكان يعرف بجامع سيد جعفر التبانين^(٧٨)، و تعاقب عليه أئمة من أعلام بيت النفاتي^(٧٩).

يتضح ان بناء الجوامع لم يكن مجرد عمل ديني صرف، بل كان جزءاً من سياسة شاملة لإعادة الثقة بين الحاكم والرعية، وترسيخ علاقة تكامل وتساند تقوم على حماية الدين، ورعاية العلم، وخدمة مصالح المجتمع.

ب-مساجد الدولة الزيانية

في الدولة الزيانية لم تكن العلاقة بين الحاكم والرعية قائمة فقط على السلطة والقوة، بل بُنيت على أسس دينية وثقافية عميقة، لعب فيها الدين دور الوسيط والضامن، أدرك الحكام الزيانيون أن تدين الناس هو مفتاح استقرار الحكم، فحرصوا على أن تكون الرعية مرتبطة بالدولة الدين، لا بالخوف أو القهر فقط، وهكذا تحوّل المسجد إلى أكثر من مكان للعبادة، ليصبح رمزاً لعلاقة وجدانية وسياسية بين الحاكم ورعيته، اذ أمر الحاكم أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (٦٨١-٧٠٣هـ/١٢٨٣-١٣٠٣م) ببناء مسجد سنه ٦٩٦هـ/١٢٩٦م^(٨٠)، لم يكن هدفه فقط إنشاء معلم ديني، بل أراد أن يُرسخ في ذهن الناس صورة الحاكم الصالح الذي يخلد العلماء، ويجعل من الدين أساساً لحضوره في وجدان رعيته، فالمسجد يحمل اسم عالم كبير، هو أبو الحسن التتسي^(٨١)، الذي احتضنه الحاكم بنفسه، وعيّنه مدرّساً بتلمسان هنا يظهر الحاكم في صورة راعي الدين والعلم ويصبح المسجد شاهداً على هذه العلاقة^(٨٢).

أما في عهد الحاكم أبي حمو موسى الأول (٧٠٧-٧١٨هـ/١٣٠٨-١٣١٨م)، ظهرت علاقة الحاكم بالرعية أكثر وضوحاً عن طريق بناء مسجد أولاد الإمام^(٨٣)، الذي أُقيم لخدمة أبناء أحد علماء الدين، وارتبط بمدرسة علمية التي عرفت باسمها والتي سيأتي ذكرها لاحقاً، هذه البادرة تكشف ان حاكم يرى في خدمة العلم والدين وسيلة لاكتساب رضا الناس، وتكريس الولاء، وبناء جسور الثقة بينه وبين المجتمع^(٨٤).

تعمّق هذا التوجّه مع الحاكم أبي حمو موسى الثاني (٧٦٠-٧٩١هـ / ١٣٥٩-١٣٨٩م) الذي أنشأ مسجداً تكريماً لوالده، ليجمع بين البرّ الأسري والتواصل مع الشعب عبر الدين، تذيب الحواجز بين الحاكم والرعية، وتحوّل الدين إلى رابط مشترك يعزز الاستقرار والتماسك^(٨٥)، عرف باسم مسجد إبراهيم المصمودي^(٨٦) احد أئمة تلمسان^(٨٧).

هذه العلاقة كانت تقوم على الثقة المتبادلة الحاكم يرعى الدين والعلم، والرعية تردّ بالولاء والطاعة وفي الأزمات، ظهر أثر هذا الرباط واضحاً، ففي حصار تلمسان على يد المرينيين، اذ صمد الناس رغم الجوع والموت، واعان أبو حمو الثاني (٧٦٠-٧٩١هـ / ١٣٥٩-١٣٨٩م) في استعادة حكمة، مستمدّين قوتهم من إيمانهم وثقتهم بحاكم يرون فيه نصيراً للدين وخادماً للعلماء^(٨٨).

الدولة الزيانية اهتمت بتأسيس الأحباس، اذ حبس الحاكم الغني بالله أبي زيان محمد (٧٩٦-٨٠١هـ/ ١٣٩٣-١٣٩٨م) أوقافاً على المساجد والمدارس^(٨٩)، وأنشئت لهذه الأوقاف إدارة لإشراف التصرف فيها،

جُعِلَت الوفرة المالية في الأحباس قابلة للصرف في وجوه البر والمصلحة العامة، وهذا يبرز أهمية الأحباس في دعم الحياة الدينية والعلمية في الدولة الزيانية^(٩٠).

إن علاقة الحاكم الزياني برعيته لم تكن مجرد علاقة حاكم برعية، بل علاقة تواصل مستمر عبر الدين، ورعاية مباشرة للمؤسسات الدينية التي كانت تؤثر في حياة الناس اليومية الأمر الذي جعل من الدين أداة فاعلة في بناء دولة قوية متماسكة داخلياً تستمد شرعيتها من رضى الناس لا من بطش السيف.

ج-مساجد الدولة المرينية

منذ تأسيس الدولة المرينية أولى حكامها اهتماماً بالغاً ببناء المساجد، إدراكاً منهم للدور الحيوي الذي تقوم به هذه المؤسسات في دعم شرعية الحكم وتعزيز السلطة الدينية للدولة، أدرك المرينيون مبكراً أن المسجد لا يقتصر على كونه مكاناً للعبادة، بل يمثل منصة لتوجيه الخطاب الديني، ووسيلة لتنظيم العلاقة بين الحاكم والرعية، وفي هذا السياق، عكست العناية المشهودة بالمساجد الكبرى تليق وهدفت هذه المساجد إلى تنظيم المجتمع دينياً وثقافياً، وتعزيز تماسكه الداخلي عن طريق إشراف الدولة المباشر على هذه البنى^(٩١).

وكان بناء جامع فاس الجديد سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)^(٩٢)، أو ما يعرف بالجامع الكبير^(٩٣)، وهو أول ما شُيّد مع تأسيس المدينة البيضاء كعاصمة سلطانية جديدة، بأمر من الحاكم يعقوب بن عبد الحق، و اتخذ الجامع موقعاً استراتيجياً ملاصقاً للقصر الملكي، مشرقاً على العاصمة القديمة^(٩٤)، وأجمع الرحالة والمتجولون على أنهم لم يشاهدوا له مثيلاً^(٩٥)، أذ أنفق عليه الأموال كثيرة^(٩٦)، كان أول من خطب فيه الفقيه المحدث محمد بن أبي زرع^(٩٧)، وتلا ذلك تعيين الخطيب المنير للخطبة في شهر رمضان سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م^(٩٨)، فعُيّن بعده الشيخ المزدغي^(٩٩) إماماً وخطيباً للمسجد نفسه، وفي سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م قام الحاكم بتعيين الشيخ الفقيه محمد بن أبي صابر^(١٠٠) إماماً للمسجد، وظل في هذا المنصب إلى أن توفي سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م^(١٠١)، هذا النهج يبيّن أن الحاكم لم يكتفِ ببناء المساجد، بل كان يحرص على اختيار العلماء الموثوقين لتولي الإمامة والخطابة، مما جعل الأئمة والخطباء جسراً بين الحاكم والرعية؛ ينقلون مطالب الناس ويشفعون لهم بفضل مكانتهم الدينية والعلمية، فأسهم ذلك في تعزيز علاقة الحاكم برعيته وترسيخ مكانة العلم والدين في المجتمع^(١٠٢)، وتظهر في النصوص التاريخية تفاصيل دقيقة عن تنظيم ختمات أسبوعية للقرآن، وتوفير مرتبات قارة للقراء^(١٠٣).

أن العناية بالعلم وبناء المؤسسات الدينية والثقافية في العصر المريني لم تقتصر على شخص الحاكم وحده، بل شملت أيضاً رجاله المقربين وحجابه الذين كانوا يمثلون سلطته ويجسدون نهجه، ففي عهد الحاكم ابو سعيد عثمان بن أحمد المريني (٧١٠هـ/٧٣١هـ-١٣١١-١٣٣٢م)، قام حاجبه عبد الله بن

طريف^(١٠٤) بإنشاء مسجد السوق الكبير في بلدة تيدة، وألحق به خزانة للكتب وحبس عليها عدداً كبيراً من المصنفات، مما يدل على أن رعاية العلم ونشر المعرفة كانت توجهاً عاماً في الدولة، يشارك فيه الحاكم ومن ينوب عنه على حد سواء^(١٠٥)، امتدت هذه السياسة لتشمل مدناً أخرى كفاس وطنجة وسبتة وسلا، إذ تم بناء وإصلاح مساجد وصوامع متعددة، ما يدل على مشروع عمراني ديني شامل، ارتبط بازدهار فكري كبير في هذه المرحلة^(١٠٦).

وفي عهد الحاكم أبي الحسن المريني (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣١-١٣٤٨م)، بلغت هذه السياسة ذروتها، إذ تواصلت مشاريع بناء الجوامع الكبرى مثل مسجد أبي مدين بالعباد^(١٠٧) (٧٤٠هـ/١٣٣٩م)، بجوار ضريح الشيخ الصوفي الشهير أبي مدين^(١٠٨)، ما يعكس توجهاً مرينياً واضحاً نحو احتواء الزوايا الصوفية وتكريم أوليائها ضمن مشروع السياسي الديني يهدف إلى كسب شرائح واسعة من الرعية^(١٠٩).

ومن أبرز معالم هذا العهد كذلك جامع القصبة بتلمسان، الذي جسّد براعة معمارية وتنظيمًا دقيقًا للمرافق و زخارف الفاخرة، بما يعزز مكانة الدولة كراعٍ للفنون والعلوم الدينية^(١١٠)، ثم تواصلت النهضة في عهد ابنه أبي عنان (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) الذي أمر ببناء جامع سيدي الحلوي سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م^(١١١)، وذلك بعد ضمّ المغرب الأوسط وتلمسان، وهو ما يحمل دلالة سياسية واضحة استخدام العمارة الدينية لإرساء السيادة في المناطق المفتوحة حديثاً^(١١٢).

و انعكست هذه الجهود إيجابياً على الرعية عن طريق:

- ترسيخ هيبة الدولة عبر الدين.
- إتاحة فضاءات تعليمية وروحية واسعة.
- خلق وظائف جديدة للعلماء والفقهاء.
- تعزيز الانتماء الديني والروحي للمجتمع.

الهوامش:

- (١) فاضلي، الزاوية الشرقاوية، ص ٤٥.
- (٢) مهاوش، المرابطون وأثرهم الحضاري والفكري، ص ٣٠٢.
- (٣) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ٤١٣.
- (٤) ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص ٢٠٢؛ الجزنائي، جنى زهرة الآس، ص ٧٦-٧٧.
- (٥) برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج ٢، ص ٣٧٦.
- (٦) الونشريسي، المعيار المغربي، ج ١١، ص ١٠٥.
- (٧) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ١٤٤.
- (٨) حسن، المدينة والبادية، ج ١، ص ١٨٤.

- (٩) الرصاع، الفهرست، ص ١٩٤.
- (١٠) حسن، المدينة والبادية، ج ١، ص ١٨٤.
- (١١) أبو محمد المرجاني: عبد الله بن محمد أبو محمد المرجاني القرشي التونسي، فقيه مالكي، مفسر، محدث، صوفي، ومفتي تونس، كان إماماً مشهوراً في الآفاق بعلمه وفقهه، متميزاً بحلاوة العبارة وعمق التفسير، حتى إنه كان يفسر الآية الواحدة أشهراً طويلاً بما يفتح الله عليه من علوم، وكان الناس يعجزون عن استيعاب ما يسرده لحسن بيانه وغزارة مادته، امتاز كذلك بمعرفة الحديث والتصوف، وكان من أهل العبادة والزهد، توفي بتونس سنة (٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م). ينظر: الصفدي، أعيان العصر وأعوام النصر، ج ٢، ص ٧١٩؛ ابن القنفذ، الوفيات، ص ٣٣٥.
- (١٢) الزركشي، تاريخ دولتين الموحدية والحفصية، ص ٥٣.
- (١٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ٣٢٠.
- (١٤) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ١٢٠.
- (١٥) ابن الشماخ، الأدلة البينة النورانية، ص ١١٨.
- (١٦) الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء، ص ١٩٧.
- (١٧) أحمد بن عروس: كان من كبار المتصوفة في تونس خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وُلد بالمغرب ثم استقر في تونس، وعُرف بحياته الزاهدة الغربية إذ أقام على سطح أحد الفنادق في المدينة لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً حتى وفاته سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م تقريباً، اشتهر بكرامات لافتة، منها أن الطيور البرية كانت تأتي لتأكل من يده، وأنه كان يمد يديه في الهواء فيجد الفقراء عنده ما يكفيهم من قوت تمتع بمهابة كبيرة جعلت لقاءه أمراً مهيباً يقشعر له البدن، وأثر في أجيال من المريدين والمتصوفة، ألّف في سيرته عمر بن علي الجزائري كتاب ابتسام العروس ووشي الطروس، وبقي ذكره حاضراً في الذاكرة الشعبية والدينية بوصفه أحد أقطاب التصوف في تونس. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٩، ص ٤٦٢؛ الزركلي، الاعلام، ج ١، ص ١٦٩.
- (١٨) الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء، ص ١٩٧.
- (١٩) ابن الشماخ، الأدلة البينة النورانية، ص ١٢٠.
- (٢٠) الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء، ص ١٩٧.
- (٢١) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ١٣٦.
- (٢٢) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ١٣٦.
- (٢٣) الونشريسي، المعيار المعرب، ج ٢، ص ٥١١.
- (٢٤) فاضلي، الزاوية الشراوية، ص ٤٩.
- (٢٥) الونشريسي، المعيار المعرب، ج ٦، ص ١٧١.
- (٢٦) فيلال، تلمسان في العهد الزياني، ج ١، ص ١٤٨-١٤٩.
- (٢٧) ابن القنفذ، انس الفقير، ص ١٠٤.
- (٢٨) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ١١٦؛ مقديش، نزهة النظر، ج ٢، ص ٢٨٤.
- (٢٩) عبد الله المجاصي: أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي المعروف بالبغاء، شيخ صالح من أهل تلمسان، عُرف بكثرة البكاء من خشية الله، والزهد والورع، وخدمة الناس، كان مُعلِّماً ومُربيّاً، له مواظب حسنة وتدرّس للعلم، وروى عنه أنه حجّ سيراً على الأقدام، عُرف باستجابة الدعاء، وإمامة الصلاة في المسجد المقابل لباب إيمزجان في

- تلمسان. ينظر: ابن مريم، البستان في ذكر العلماء، ص٣١٨؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج١، ص٣٣-٣٤.
- (٣٠) أبو إسحاق الطيار: (إبراهيم الغوث) ولي صالح من أكابر أولياء تلمسان في العهد الزياني، عُرف بكثرة العبادة والزهد حتى قيل إنه لم يضطجع أربعة وعشرين سنة، قائماً بالليل صائماً بالنهار، توفي قبل تمام القرن السابع الهجري، وقبره في العباد مزار مشهور تُستجاب عنده الدعوات. ينظر: ابن مريم، البستان في ذكر العلماء، ص١٤٢.
- (٣١) فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج٢، ص٣٨٧.
- (٣٢) الونشريسي، المعيار المغرب، ج٦، ص١٧١.
- (٣٣) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص٥٠.
- (٣٤) فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج٢، ص٣٩٠.
- (٣٥) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص٤١٣.
- (٣٦) لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص٣٧٢.
- (٣٧) ابن غازي، الروض الهتون، ص٣٦-٣٧.
- (٣٨) ابن بطوطه، تحفه النظر، ج٤، ص٣١٦-٣١٧.
- (٣٩) ابن الحاج النميري، الفيض العباب، ص٩٣.
- (٤٠) ابن الحاج النميري، الفيض العباب، ص٢٠٢.
- (٤١) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص١٧٠.
- (٤٢) الفيض العباب، ص٢٠٢.
- (٤٣) زهرة الآس، ص٧٦-٧٧.
- (٤٤) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب، ج٤، ص١٥٧.
- (٤٥) الشيخ سعيد بن أبي بكر المشتراوي: الشيخ الولي الصالح أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشتراوي، من أولياء القرن العاشر الهجري، كان يقيم في مدينة مكناسة (مكناس)، واشتهر بالزهد والتقوى وكثرة العبادة، وكان يطعم الفقراء واليتامى وتظهر في زاويته البركة والخوارق عُرف أيضاً بورعه وكشفه عن أحوال الناس، وارتبط ذكره بعهد المرينيين في المغرب الى ما بعد وفاة، سار حفيده محمد أبو منصور المرباط على نهج جده الولي الصالح أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشتراوي، فاشتهر مثله بالصلاح والزهد وكثرة الكرامات. ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص٧٧؛ السجلماسي، إتحاف أعلام الناس، ج٤، ص٣٤٥.
- (٤٦) ابن عسكر، دوحة الناشر، ص٧٧-٧٨.
- (٤٧) عزيز، المناهج التعليمية في بلاد المغرب، ص٢٨٥.
- (٤٨) مهاوش، المرباطون وأثرهم الحضاري، ص٣٠٢.
- (٤٩) الفضلي، الخدمات العامة، ص١٦٦.
- (٥٠) ابن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص٩٢.
- (٥١) الدولة العباسية: دولة عربية قامت سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م بعد سقوط الدولة الأموية، وتنتمي إلى العباس عم النبي محمد كان أبو العباس عبد الله السفاح أول حكامها ومؤسسها، واتخذ خلفاؤها من بغداد عاصمة لهم، فازدهرت في عهدهم العلوم والفنون والفكر الإسلامي، وأصبحت بغداد مركزاً للحضارة الإسلامية، ومع مرور الزمن ضعفت الدولة

- بسبب الصراعات الداخلية وتدخل القوى الأجنبية، حتى سقطت على يد المغول سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م. ينظر:
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٢٣٦؛ الصفي، نزهة المالك والمملوك، ص٨٤.
- (٥٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٢٦؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٩٢؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٣، ص٢٩٣.
- (٥٣) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ص١٠١؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٦، ص٣٧١؛ التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص١٠٩-١١٠.
- (٥٤) ابن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص٩٢ وما بعدها؛ عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص١٠٧.
- (٥٥) شرقي، تفاعل المسيحيين، ص٢٥١.
- (٥٦) ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص١٠٩؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٢٧.
- (٥٧) ابن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص٩٢.
- (٥٨) عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص١٠٧.
- (٥٩) ابن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص٩٢؛ عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص١٠٧.
- (٦٠) الباجي المسعودي، الخلاصة النقية، ص١٦٩.
- (٦١) جامع الزيتونة: شيد جامع الزيتونة في تونس بعد فتحها على يد القائد حسان بن النعمان الغساني سنة ٧٩هـ/٦٩٨م، في الموضع الذي كان يتعبد فيه راهب بصومعة قرب شجرة زيتون، اذ كان يرى عموداً من نور يتصل بالسماء، فاختر المكان لبناء الجامع وأبقيت الشجرة فسمي الجامع بها، اكتمل بناؤه في عهد عبيد الله بن الحجاب سنة ١٤١هـ/٧٥٩م، وزود بأكثر من مائة وخمسين عموداً من الرخام والمرمر، ثم توالى العناية به عبر العصور، فقد جدده الأغلبة وزخرفوه، وأضاف الحفصيين إليه المقصورة والسبل، فغدا معلماً دينياً وعلمياً بارزاً، ومكاناً عُرف بالبركة واستجابة الدعاء. ينظر: السنوسي، مسامرات الظريف، ص١٤٧؛ ابن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص١٠.
- (٦٢) ابن خوجه، تاريخ معالم التوحيد، ص١٣-١٤، ص١٦.
- (٦٣) ابن خوجه، تاريخ معالم التوحيد، ص٦٥.
- (٦٤) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٣٣.
- (٦٥) ابن الشماخ، الأدلة البينة النورانية، ص٦٣.
- (٦٦) ابن خوجه، تاريخ معالم التوحيد، ص٦٦.
- (٦٧) البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، ج١، ص٤٦.
- (٦٨) ابن خوجه، تاريخ معالم التوحيد، ص٦٦.
- (٦٩) ابن الشماخ، الأدلة البينة النورانية، ص٦٣.
- (٧٠) ابن عبد الرفيق: أبو إسحاق إبراهيم بن حسن التونسي، وُلد سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤٤م بتونس في أسرة علمية عريقة، كان فقيهاً، محدثاً، قاضياً، وخطيباً بجامع الزيتونة، وتولى القضاء في عدة مدن، منها تونس وتبرسق وقابس أخذ العلم عن كبار علماء المغرب والأندلس، وروى عنه أعلام مثل ابن مرزوق تعرض للنفي والسجن من قبل الحاكم ابو ضربة، وتوفي سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م. ينظر: مخلوف، شجرة النور الزكية، ج٢، ص١٦٧؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج٣، ص٣٢٢.
- (٧١) ابن خوجه، تاريخ معالم التوحيد، ص٦٦.

- (٧٢) ابن خوجه، تاريخ معالم التوحيد، ص ١٣.
- (٧٣) السنوسي، مسامرات الظريف، ج ١، ص ٢٠٦.
- (٧٤) خوجه، ذيل كتاب بشائر أهل الأيمان، ص ٥١.
- (٧٥) ابن خوجه، تاريخ معالم التوحيد، ص ٧٧.
- (٧٦) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ١٤٧-١٥٠.
- (٧٧) برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج ١، ص ٣٨١.
- (٧٨) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ١٤٤.
- (٧٩) ابن خوجه، تاريخ معالم التوحيد، ص ٧٧.
- (٨٠) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ١١٩.
- (٨١) أبو الحسن التنسي: أحد كبار علماء تلمسان في القرن السابع الهجري، عُرف بالورع والعلم، وكانت له منزلة رفيعة عند الملوك والعامّة، تولّى مهمة المراسلات بين ملوك المغرب والمشرق، مما جعله محل تهمة خلال حصار تلمسان، فانتقل إلى السلطان المريني أبي يعقوب الذي أكرمه وأحسن وفادته حتى وفاته، ودُفن بمدينة العباد. ينظر: يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٤٨؛ ابن مريم، البستان في ذكر العلماء والأولياء، ص ٩٦-٩٨.
- (٨٢) فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج ١، ص ١٤٦-١٤٧.
- (٨٣) أبو زيد عبد الرحمن وأخوه أبو موسى عيسى، فقيهان من مدينة برشك، نشأ في بيت علم وصلاح، ونزلا تلمسان في عهد الحاكم أبي حمو، الذي أكرمهما وبنى لهما مدرسة داخل باب كشوطة، رحلا إلى تونس والمشرق، وتتلماذا على كبار العلماء، وانتشر ذكرهما في أنحاء المغرب والمشرق، وتتلماذا عليهما أعلام، منهم ابن خلدون، توفي أبو زيد سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، وتوفي أبو موسى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، وخلفا ذرية علمية بتلمسان استمرت في حمل لواء العلم بعدهما. ينظر: يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٧١؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ج ١، ص ٣١٥.
- (٨٤) الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج ٢، ص ٤٤٩.
- (٨٥) فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج ١، ص ١٤٧.
- (٨٦) إبراهيم المصمودي: إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني، الشيخ الزاهد الولي الصالح أبو إسحاق، أحد كبار علماء تلمسان في القرن الثامن الهجري، وأحد شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد الذي أفرد ترجمته بتأليف خاص، وُلد قرب مكناسة وتلقى العلم في فاس على يد كبار العلماء مثل موسى العبدوسي ومحمد الأيلي، ثم استقر بتلمسان وتصدر للتدريس بالمدرسة التاشفينية عُرف بورعه وزهده وكراماته، وكان محبا للعلم وأخبار الصالحين، لا يتردد في ملاقة العلماء ومذاكرتهم، وله مكانة روحية وعلمية كبيرة في تاريخ المغرب الإسلامي. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٥٣-٥٤.
- (٨٧) التنسي، تاريخ ملوك بني زيان، ص ١٨٠.
- (٨٨) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ١٤٨، ص ١٥٤-١٥٨؛ ج ٢، ص ٥٦-٦٠؛ بو عزيز، موجز في تاريخ الجزائر، ص ٢٢٨-٢٢٩.
- (٨٩) التنسي، تاريخ ملوك بني زيان، ص ٢١١.
- (٩٠) الونشريسي، المعيار المعرب، ج ٧، ص ٢٣٧.

- (^{٩١}) لوتونو، فاس في العصر المريني، ص ١٩٠؛ الشاهري، الحضارة العربية الإسلامية، ص ٢٢٣.
- (^{٩٢}) ابن أبي زرع، الذخير السنية، ص ١٨٧-١٨٨.
- (^{٩٣}) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ٤٠٢؛ المنوني، ورقات من حضارة المرينية، ص ٢٨.
- (^{٩٤}) ابن الأحمر، روضه النسرين، ص ٢٠.
- (^{٩٥}) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ٤٠٢.
- (^{٩٦}) ابن رحو، المساجد وأوقافها، ص ٩.
- (^{٩٧}) محمد بن أبي زرع:
- (^{٩٨}) ابن أبي زرع، الذخير السنية، ص ١٨٧-١٨٨.
- (^{٩٩}) المزدغي: الشيخ الفقيه أبو جعفر أحمد بن المزدغي، من أهل المغرب، تولى القضاء بحاضرة فاس بعد تمنع وإباء حتى أصر الخليفة على توليته، سار في القضاء بأجمل سيرة من العدل والفضل والصرامة مع أصحاب الجاه، فامتدت ولايته إلى أن توفي سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م. ينظر: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٢٩.
- (^{١٠٠}) محمد بن أبي الصبر: الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر أيوب، من علماء فاس، ولي القضاء بعد أبي عبد الله بن عمران، كان في زمانه واحد قطره في العدالة والجلالة والصلاح والفضل، ولم يأخذ أجراً على القضاء، بل كان رزقه من بيت المال على نهج سحنون، كان معظماً عند الحاكم كبير الشأن في زمانه، وتوفي سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م. ينظر: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٢٩؛ الجزنائي، جنى زهرة الآس، ص ٦١.
- (^{١٠١}) الجزنائي، جنى زهرة الآس، ص ٦٠-٦١.
- (^{١٠٢}) عبد السلام الفاسي، الخطابة والخطباء بفاس، ص ٨٦.
- (^{١٠٣}) صابر، المسجد الكبير بمدينة فاس، ص ٢١٣.
- (^{١٠٤}) لم اجد له ترجمه بالمصادر المتاحة.
- (^{١٠٥}) ابن الأحمر، روضة النسرين، ص ٤١؛ ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ص ٤٥٧.
- (^{١٠٦}) الجزنائي، جنى زهرة الآس، ص ٩٣؛ ابن رحو، المساجد وأوقافها، ص ١٦.
- (^{١٠٧}) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص ٤٠٣.
- (^{١٠٨}) الشيخ أبو مدين: شعيب بن حسين الأندلسي شيخ أهل المغرب وأحد أعلام الزهد والعبادة، أصله من حصن منتوجت في مدينه إشبيلية، جاب البلاد واستقر في بجاية مدة ثم في تلمسان، وتميز بالورع والانقطاع عن الدنيا، حتى صار مرجعاً للعلماء والمتعبدين، وصفه محيي الدين ابن العربي بأنه سلطان الوارثين، وكان له أثر روحي عميق على من جالسه، واشتهر بدعوته إلى الصدق في السلوك إلى الله، والرجوع إلى الناس لإرشادهم ونصحهم، توفي سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٣٨٠؛ ابن القنفذ، انس الفقير، ص ١٠٤-١٠٥.
- (^{١٠٩}) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٥٠؛ نخبة من العلماء، المساجد مشاهد من العمارة الإسلامية، ص ١٣٨.
- (^{١١٠}) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٦٠.
- (^{١١١}) فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج ١، ص ١٤٨.
- (^{١١٢}) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ١٤٣؛ فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج ١، ص ١٤٨.

المصادر

- (١) برنشفيك، روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ الى نهاية القرن ١٥، ترجمه: حمادي الساحلي، دار الغرب، بيروت-لبنان، ١٩٨٨م.
- (٢) الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تح: محمد زينهم محمد، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٢م. التنسي، محمد بن عبدالله (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٤م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتضب من نظم الدرر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود اغا بوعيداد، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠١١م.
- (٣) الجزنائي، علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- (٤) ابن الحاج النميري (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، الرباط، ١٩٩٠م.
- (٥) حركات، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ معرض الأحداث المغرب وتطوراتها في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر و ١٤ هـ و ٢٠ م) من بداية المرينيين الى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ١٩٧٨م.
- (٦) حساني، مختار، تاريخ الدولة الزيانية، دار الحضارة، الجزائر، ٢٠٠٩م.
- (٧) حسن، محمد، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس، تونس، ١٩٩٩م.
- (٨) ابو حمو، موسى الثاني (ت ٧٩١هـ/١٣٨٩م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، د.مط، د.م، د.ت .
- (٩) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- (١٠) ابن ابي الدينار، محمد بن أبي قاسم القيرواني، (ت ١١١٠هـ/١٦٩٨ م)، المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، الدولة التونسية، تونس ٢٠٨٦م.
- (١١) ابن أبي زرع، أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: كارل بوحس نور تبرغ، المدرسية اوبسالة، اوبسالة، ١٨٦٣م؛ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، د.مط، الرباط، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- (١٢) الزركشي، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت ٨٣٩هـ/١٤٣٥م)، تاريخ دولتين الموحدية و الحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.
- (١٣) شرقي، علي عطية، تفاعل المسيحيين مع المؤسسة العسكرية في بلاد المغرب والأندلس-فتره الموحدين أنموذجًا، مجلة الأستاذ، مج ١، العدد ٢٢٠، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.
- (١٤) أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، د.ت.
- (١٥) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، العين، تح: دمهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ١٩٠٠م.
- (١٦) الفضلي، مثني فليفل سلمان، همسة صالح عبد القادر السعدون، الخدمات العامه في مملكة غرناطة، مجلة الاستاذ، العدد ٢١٣، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- (١٧) فيلالتي، عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٢م.
- (١٨) ابن قنفذ، احمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسطيني (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي، الدار التونسية، ١٩٦٨م.
- (١٩) كرخال، مارمول، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد زنيير، محمد الأخضر، احمد التوفيق، احمد بنجلون، دار المعرفة، الرباط، ١٩٠٤هـ/١٩٨٤م.
- (٢٠) لوتورنو، روجية، فاس في العصر الزياني، تر: نقولا زياده، مؤسسة فرنكليين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.
- (٢١) محمد، باسل برهان، السياسة الشرعية وأثرها في حد السرقة، مجلة الاستاذ، مج ١، العدد ٢٠٨، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- (٢٢) ابن مرزوق، ابو عبدالله محمد بن احمد بن الخطيب (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٩م)، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريّا خيسوس بيغيرا، الشركه الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م.
- (٢٣) المقرئ، احمد بن محمد التلمساني، (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- (٢٤) مهاوش، خليل جليل بخيت، خالدة عباس نصيف جاسم، المرابطون وأثرهم الحضاري والفكري في بلاد الأندلس من (٤٧٩-٥٥٢هـ)، مجلة الاستاذ، مج ١، العدد ٢٢٠، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.
- (٢٥) الونشريسي، أبي العباس احمد بن يحيى (٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن

فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٦) يحيى ابن خلدون، أبي زكريا يحيى ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن
أحسن(ت٧٨٨هـ/١٣٨٦م)، بغية الرواد، في ذكر الملوك من بني عبد الواد، المطبعة الشرفية،
الجزائر، ١٩٠٣م.